

الاستجابة الكارثية للزلازل في سوريا: ضرورة إجراءات التصويب والمساءلة

لا يكفي مجرد اعتذارٍ أتى بعد فوات الأوان

محمد كتّوب، علا عبّارة، فؤاد محمد فؤاد، سامر جبور، عبد الكريم قزيز، ربيع نصر



نشر هذا المقال بالإنكليزية في مجلة THE LANCET على موقعها الإلكتروني في 11 آذار (مارس) الجاري.

ضرب زلزال 6 شباط (فبراير) عدّة مناطق في شمال غرب سوريا التي يسيطر عليها «الجيش الوطني السوري» المدعوم من تركيا، ومناطق أخرى تحت سيطرة هيئة تحرير الشام المتشددة، وما يتبع كليهما من إدارات مدنية: الحكومة السورية المؤقتة وحكومة الإنقاذ السورية.

تسبب الزلزال بمزيدٍ من المعاناة لسكان منطقة يقطنها 4.5 مليون شخص، 2.8 مليون أو 62 بالمئة منهم نزحوا قسراً من مناطق أخرى، وتشغل مساحة تبلغ أقل من 5 بالمئة من الأراضي السورية. عانى هؤلاء لسنوات من أعمال العنف والفظائع التي ارتكبتها حكومة الأسد، والانتهاكات المستمرة للحقوق والحريات من سلطات الأمر الواقع (في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام). الأضرار الكاملة أو الجزئية التي سببها الزلزال لـ 55 مرفق صحي. UN-OCHA. Earthquakes: north-west Syria. Flash update number 12 as of

(Feb 19, 2023). (accessed Feb 20, 2023). ذات تأثير بالغ في النظام الصحي في هذه المناطق، والذي أضعف بشدة من قبل بسبب سنواتٍ من الهجمات المتعمدة من قبل حكومة الأسد، كجزءٍ من استراتيجية توظيف الرعاية الصحية في النزاع، ومحدودية القدرات والموارد. Abbara A, Marzouk M, Mkhallalati H. Health system fragmentation and the Syrian conflict. In: Bseiso J, Hofman M, Whittall J, eds. Everybody's war: the politics of aid in the Syria crisis. Oxford: Oxford University Press, 2021. Fouad FM, Sparrow A, Tarakji A, et al. Health workers and the weaponisation of health care in Syria: a preliminary inquiry for The Lancet- American University of Beirut Commission on Syria. Lancet 2017; 390: 2516-2526. هذا النظام الصحي غير قادرٍ على تلبية الاحتياجات المتزايدة للسكان ويعتمد، كما يعتمد سكان المنطقة، على المساعدات الدولية.

تحت وطأة حق النقض الروسي والصيني في مجلس الأمن، لم يبق سوى معبرٍ حدوديٍّ واحد، باب الهوى، لوصول المساعدات الإنسانية للأمم المتحدة.

كيف استجابت الجهات الإنسانية والقوى المحلية والإقليمية والدولية الفاعلة المؤثرة في النزاع لهذا الوضع؟ The Lancet. Responding to the Türkiye-Syria earthquake: what will it take? Lancet 2023; 401: 525. التسييس، اللامبالاة، الابتذال، والإهمال هي الصفات التي تعبر عن الاستجابة.

حكومة الأسد، ضيّعت فرصةً خلّقتها الزلزال للتعبئة الوطنية والتصالح والتضامن، Ferguson J. How Assad blocked aid to Syrian earthquake victims. (accessed Feb 14, 2023). Sparrow A, Rihawi H. Don't rely on Assad to get aid to Syria's earthquake victims. (accessed Feb 20, 2023). فلم تعلن الحداد

الوطني، ولم تُفعّل آليات المساعدة الدولية لمناطق المعارضة المنكوبة، بل على العكس، سيّس الأسد الكارثة؛ سارعت حكومته إلى الدعوة لرفع العقوبات عن سوريا، وزعمت، دون دليل، أن العقوبات تُعيق الاستجابة للزلازل، بينما واصلت قصف شمال غرب سوريا. Tharoor I. Syria's Assad regime sees opportunity in earthquake aftermath. (accessed Feb 16, 2023). Katoub M. Border-shaking earthquake response. (accessed Feb 20, 2023). في البداية طالبت حكومة الأسد بحصر وصول المساعدات عبرها إلى شمال غرب سوريا. Doucet L. Crisis upon crisis: why it's hard to get help to Syria after earthquake. (accessed Feb 20, 2023). ونتيجةً للضغط الدولي، وافقت على فتح معبرين حدوديين جديدين إلى شمال غرب سوريا لمدة ثلاثة أشهر للسماح بمزيدٍ من المساعدات، وعزّت مصادرٌ ذلك إلى خوف حكومة الأسد من أن يأذن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بفتح المعابر لفترة أطول.

السلطات العسكرية والمدنية في شمال غرب سوريا أيضاً لم توظف قدراتها كاملة ولم تشارك بشكل فعّال في عمليات البحث والإنقاذ، مما يدلّ على الهشاشة الشديدة للحكومة والمؤسسات في حكومات المعارضة وتركيزها على الأمن؛ حيث أوقفت الحكومة السورية المؤقتة المساعدات القادمة من الإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا لمدة يومين في ما يبدو أنه محاولة للحصول على موافقة تركيا. Human Rights Watch. Northwest Syria: aid delays deadly for quake survivors. (accessed Feb 20, 2023) وذكرت مصادر أن كلاً من حكومة الأسد وفصائل المعارضة المسلحة شاركت في نهب مواد الإغاثة. Schaer C. Earthquake in Syria: victims deplore slow aid deliveries. (accessed Feb 20, 2023).

Danon N, Nelson M. 'The real response': Earthquake highlights role of Syrian-led relief organizations amid UN paralysis. (accessed Feb 20, 2023). Syrian Center for Policy Research. Statement: solidarity to counter repercussions of the earthquake in Syria. (accessed Feb 28, 2023) Sallal S. 'I couldn't just stand by': Syrians step up with earthquake aid despite pressures. (accessed Feb 28, 2023). حيث وصل متطوعو الدفاع المدني السوري «الخوذ البيضاء» والبالغ عددهم 2600 متطوعاً إلى المناطق المتضررة بشكل رئيسي خلال 10

ساعات من وقوع الزلزال Syria Civil Defense. White helmets (situation reports). (accessed Feb 20, 2023).، واستطاعوا إنقاذ حوالي 2900 ناجٍ وناجية، حيث حفروا بأيديهم وباستخدام معداتٍ محدودةٍ قَدّمت بعضها المجتمعات المحلية والمؤسسات الصغيرة. كان العثور على المزيد من الناجين بحاجة إلى معدات ثقيلة ومتخصصة، وفرقٍ من خبراء البحث التي لا يمكن إلاً للأمم المتحدة أو الدول الأخرى توفيرها، لا شيء ولا أحد وصل.

الولايات المتحدة، التي لديها قواتٌ داخل سوريا، والقادرة على تقديم مَعَدّات البحث والإنقاذ الحديثة، امتنعت عن ذلك، بينما قام الاتحاد الأوروبي بتنشيط آلية الحماية المدنية بناءً على طلب حكومة الأسد، لكن هذا لم يشمل شمال غرب

سوريا European Commission. Earthquake: EU mobilises support for Syria and further aid to Türkiye. (accessed Feb

20, 2023).. أغلقت تركيا معبر باب الهوى خلال الـ48 ساعة الأولى بعد وقوع الزلزال، على الأرجح بسبب الفوضى التي أحدثتها الكارثة التي ضربت جنوبها وغياب الضغط الدولي من أجل الوصول. قطر والسعودية وكردستان العراق فقط هم من أرسلوا مساعداتٍ إلى شمال غرب سوريا.

تلقت الأمم المتحدة أكبر قدرٍ من الانتقادات في استجابتها، حيث لم تحشد فرق البحث والإنقاذ ولم ترسل المعدات المتخصصة إلى شمال غرب سوريا خلال الأيام

الثلاثة الأولى الحاسمة Al Saleh R. Opinion: it was one of the world's deadliest catastrophes. Where was the

UN? (accessed Feb 20, 2023). Slemrod A. Why is UN aid so slow to reach Syrian earthquake survivors? A quick guide to how cross-border aid works, or doesn't. (accessed Feb 20,

2023).. ادّعت الأمم المتحدة وجود عوائقٍ لوجستية وطرقية، ولكن الخريطة التفاعلية للمجموعة المتخصصة بالشؤون اللوجستية أظهرت عدم وجود عوائق أمام وصول المساعدات من موقع مركز الأمم المتحدة بالقرب من مدينة الريحانية التركية على بعد 5 كيلومترات من الحدود السورية. كما استأنفت قافلات الأمم المتحدة عملها من خلال المعبر نفسه دون إصلاحات مهمة للطرق. في اليوم الرابع،

دخلت قافلة إنسانية مخطط لها مسبقاً مع ست شاحنات تحمل مساعدات لا تفيد في الاستجابة للزلزال. خلال أسبوعين قَدّمت المجتمعات السورية المُنهكة من الحرب، بما في ذلك تلك الموجودة في شمال شرق سوريا، ما يُقرب المساعدات الدولية (302 شاحنة سورية، و 196 شاحنة للأمم المتحدة، و 116 شاحنة دولية بتاريخ 19 شباط

حسب « منسقو استجابة سوريا» Humanitarian Response

Coordinators. Comparison of humanitarian assistance to earthquake victims in Syria. Facebook update. (accessed Feb 20, 2023).. من فرط خيبة أملهم، رفع سكان المجتمعات المنكوبة علم الأمم المتحدة مقلوباً فوق الأبنية المهتمة.

يمكن عزو فشل الأمم المتحدة في الاستجابة للزلازل إلى عدة عوامل سبقته: 1- انخفاض مخزونات المساعدات الإنسانية في مستودعات الأمم المتحدة التي تُزود شمال غرب سوريا في ظل نقص كبير في التمويل. 2- التأهب غير الكافي للكوارث. 3- عدم تطوير آليات للتعامل مع سيطرة الجهات الفاعلة غير الحكومية في شمال غرب سوريا، على الرغم من العمل هناك منذ 2014. 4- والقدرات غير الكافية في مكتب الأمم المتحدة في غازي عنتاب بالمقارنة مع مكتب دمشق. لكن الافتقار إلى القيادة كان العامل الحاسم. كان هذا صحيحاً بالنسبة للقيادة القريبة من الأرض، حيث كان مركز نائب المنسق الإقليمي للشؤون الإنسانية في غازي عنتاب شاغراً، كما كان صحيحاً بالنسبة لقيادة الأمم المتحدة الدولية Haid H. Syrian rescue efforts slowed by bureaucracy and regime. (accessed Feb

20, 2023).. كان بإمكان الأمين العام للأمم المتحدة أو السيد غريفيث، وكيل الأمين العام لشؤون الاستجابة الإنسانية، تفعيل فريق الأمم المتحدة لتقييم الكوارث والتنسيق (UNDAC) والمجموعة الاستشارية الدولية للبحث والإنقاذ (INSARAG) في شمال غرب سوريا، وحشد وصول المساعدات الطارئة من خلال معبر باب الهوى أو غيرها من المعابر غير المصرّح بها من مجلس الأمن الدولي، أو حتّى الدول على القيام بذلك. انتظارهما موافقة الأسد على معبرين حدوديين قريبين جديدين خلال زيارة المدير العام لمنظمة الصحة العالمية، بعد 6 أيام من وقوع الزلزال، ضيّع فرصة إنقاذ الأرواح. لم تكن هذه الموافقة ضرورية سياسياً أو قانونياً، حيث منحت الأسد نفوذاً فقدته في عام 2014 مع قرار مجلس الأمن رقم 2165 الذي يسمح بوصول المساعدات عبر الحدود دون موافقة الحكومة. وأفادت مصادر أن تأخير حكومة الأسد في إعطاء الموافقة (للمعابر الجديدة) كان مقصوداً، وسعى للاستفادة سياسياً من

الكارثة Schaer C. Earthquake in Syria: victims deplore slow aid deliveries. (accessed Feb 20, 2023).. القيادة في الكوارث تعني إعطاء الأولوية لإنقاذ الأرواح قبل جميع الاعتبارات الأخرى. اعترف السيد غريفيث: «لقد خذلنا حتى الآن الناس في شمال غرب سوريا. إنهم محقون في شعورهم بالتخلي عنهم. بحثوا عن مساعدة دولية لم تأت» @UNReliefChief. Feb 12, 2023. (accessed Feb 20, 2023).. بالنسبة لكثيرين، ومنهم كُتاب هذه المقالة، كان الاعتذار قليلاً جداً وبعد فوات الأوان.

مما لا شك فيه، أن فشل الاستجابة في شمال غرب سوريا، بما في ذلك الأمانة العامة للأمم المتحدة، قد تسبب بشكل مباشر في وفيات وإصابات، وبآثار نفسية وجسدية كان من الممكن تجنبها. سيؤدي ذلك إلى زيادة عبء الإعاقات، ويفاقم وضع الأمراض المعدية وغير المعدية التي لا يستطيع النظام الصحي الضعيف الاستجابة لها. Abbara A, Rayes D, Ekzayez A, et al. The health of internally displaced people in Syria: are current systems fit for purpose? J Migration Health 2022; 6: 100126. ACAPS. Türkiye/Syria earthquake: overview of what to watch over ..(the next month. (accessed Feb 20, 2023

مع اقترابنا من الذكرى السنوية الثانية عشرة لهذا النزاع، يجب علينا الاستفادة من الصدمة والتعلم من أزمة الزلزال لمعالجة الأولويات العاجلة، ولكن أيضاً المشكلات المتراكمة خلال النزاع. Research for Health Systems Strengthening in Syria. Urgent health needs in northwestern Syria after the earthquake: a call for action. (accessed Feb 24, 2023). Jabbour S, Leaning J, Nuwayhid I, et al. 10 years of the Syrian conflict: a time to act and not merely to remember. ..Lancet 2021; 397: 1245-48

نُركز على ثلاث مجموعات من التدخلات:

أولاً، تلبية الاحتياجات الإنسانية والصحية العاجلة بعد الزلزال، والتي تظل هائلة في ظل عدم كفاية المساعدات، مع معالجة أوجه القصور طويلة الأمد في العمليات الإنسانية، ولا سيما زيادة التمويل، وتوفير المزيد من الموارد للمستجيبين المحليين، ومنع استغلال المساعدات من حكومة الأسد وأطراف النزاع الأخرى، وضمان الوصول المُستدام وغير المُقيد عبر الحدود CARE International. Syria: 35 INGO and Syrian NGOs demanding unfettered access and massive scale-up of humanitarian response. (accessed Feb 20, 2023).. الوصول عبر خطوط النزاع من المناطق التي تسيطر عليها حكومة الأسد ليس كافياً ولا مستداماً، بالنظر إلى سجلها الحافل في عرقلة المساعدات. وبعكس رأي قانوني الأمم المتحدة شديدي التحفظ، الذي يطلب تصريحاً من مجلس الأمن لوصول الأمم المتحدة وتسليم المساعدات عبر الحدود إلى مناطق المعارضة، فإن قضاة وخبراء قانونيين دوليين بارزين أكدوا في عام 2014، وأعادوا التأكيد مؤخراً بناءً على دراسة Guernica 37 Chambers (مؤسسة قانونية بريطانية)، على أن عمليات

الأمم المتحدة عبر الحدود إلى شمال غرب سوريا لا تتطلب تفويضاً من مجلس الأمن، ولا إذنًا من حكومة الأسد، Akhavan P, Baderin MA, Bindman G, et al. There is no legal barrier to UN cross-border operations in Syria. (accessed Feb 20, 2023). Simma B, Dugard J, Morrison H, et al. There is still no legal barrier to UN cross-border operations in Syria without a UN security council mandate. (accessed Feb 20, 2023) American Relief Coalition for Syria. Needs not vetoes: why the continuation of UN-coordinated cross-border aid into Syria absent a UN security council resolution is lawful. (accessed Feb 20, 2023).. ندعو قيادة الأمم المتحدة إلى الاعتراف بهذا النهج وتنفيذه. وإذا لم تكن الأمم المتحدة راغبة في ذلك، فإنه يجب على الحكومات المعنية أن تعمل على إنشاء آليات بديلة وفعّالة لتقديم المساعدات عبر الحدود، وتجنب المواجهة التي تهدر الوقت حول تجديد المساعدات في مجلس الأمن الدولي كل ستة أشهر. ضمان وصول المساعدات على الأمد الطويل أساسي لاسترداد ثقة المجتمعات المتضررة بالأمم المتحدة والمجتمع الدولي.

ثانياً، الحاجة إلى تغيير ظروف النزاع والهشاشة، التي أدت إلى تضخيم آثار الزلزال وتقويض قدرة المجتمعات على الصمود، وذلك لتجنب خلق احتياجات إنسانية جديدة في المجتمعات التي أصبحت الآن أكثر فقراً وضعفاً بعد الزلزال. يجب على حكومة الأسد وقف جميع الهجمات على شمال غرب سوريا. يجب على السيد غويتيريش أن يطالب بقوة بوقف إطلاق النار على نحوٍ يمكن التحقق منه، وأن يدفع بال مناقشات المتوقّفة التي توسطت فيها الأمم المتحدة بشأن التسوية السياسية، والتي ينبغي أن تُعالج الاختفاء القسري لما يقارب الـ 110.000 شخص Syrian Network for Human Rights. The 11th annual report on enforced disappearance in Syria on the international day of the victims of enforced disappearances; the number of victims (is rising. (accessed Feb 20 2023)، وتضمن المساءلة عن انتهاكات القانون الدولي، وفقاً لقرارات الأمم المتحدة. من إجراءات حسن النية السياسية التي يمكن أن تُحسن أيضاً قدرة النظام الصحي على تلبية الاحتياجات غير الملبّاة، إطلاق سراح أكثر من 3360 من العاملين الصحيين المختفين قسرياً، والتي تقع مسؤولية أغلبها على عاتق حكومة الأسد.

ثالثاً وقبل كل شيء، نحن مدينون تجاه أولئك الذين وقعوا ضحية الاستجابة

الكارثية للزلازل بأن نُصحح إخفاقات الاستجابة، وأن نسعى لتحقيق العدالة للضحايا. لم تؤدّ هذه الكارثة لارتفاع أصواتٍ للمطالبة بتحديد المسؤوليات والاستقلالات والمراجعات والتقاضي، كما يحصل عادة بعد مقتل شخص واحد حتى. لحياة السوريين قيمةً أيضاً. ندعو إلى إطلاق لجنة مستقلة مفوضة من الأمم المتحدة للتحقيق في الإجراءات وتحديد المسؤوليات واقتراح الإجراءات التصحيحية، بما في ذلك داخل منظومة الأمم المتحدة؛ وإنشاء صندوق وآليات تعويضات للضحايا المظلومين؛ وتقديم الدعم القانوني الدولي للأسر المتضررة لاستكشاف خيارات التقاضي.

إن من شأن هذه الإجراءات تفعيل مفهوم المساءلة أمام المجتمعات المتضررة، والذي تنادي به الأمم المتحدة دون تنفيذ يُذكر، فلا بدّ من إعطاء هذا الحق للمجتمعات المستفيدة من المساعدات لتصبح قادرة على مساءلة الجهات التي تقدم لها المساعدة IOM UN Migration. Accountability to affected populations. (accessed Feb 28, 2023)، من خلال المساءلة والعدالة، سيمكن لنا البدء بأن نطلب من المجتمعات المتضررة أن تسامحنا.